

وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّا فِي الْأَرْضِ

وَأَنَا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا وَكَفَانَا وَأَوَانَا.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْكَرَامُ!

إِنَّ "الماء" هُوَ أَحَدُ النِّعَمِ الَّتِي وَهَبَهَا لَنَا رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ الأكثر قيمة. حيث قال في القرآن الكريم "وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ" ¹ فكلُّ كائن حَيٍّ يَعِيشُ حَيَاةً مُرْتَبِطَةً بِالْمَاءِ. فالماء هُوَ مَصْدَرُ حَيَاتِنَا وَبِرَكَّةٍ لِنُرَابِنَا. وأساس لصِحَّةِ أَيْدَانِنَا وَنِظَافَتِهَا وَمَصْدَرُ لِحْمَالِ بَيْتِنَا.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَفْاضِلُ!

إِنَّ دِينَنَا الْإِسْلَامِيَّ الْحَلِيلَ يَأْمُرُ بِاسْتِخْدَامِ الْمَاءِ بِاعْتِدَالٍ دُونَ الْإِسْرَافِ فِيهِ. فَقَدْ حَذَّرَ رَسُولُنَا الْأَكْرَمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَدَ الصَّحَابَةِ عِنْدَمَا رَأَهُ وَهُوَ يُسْرِفُ فِي الْمَاءِ أَثْنَاءَ وُضُوئِهِ بِقَوْلِهِ: " مَا هَذَا السَّرْفُ؟". وَعِنْدَمَا سَأَلَهُ الصَّحَابِيُّ "أَفِي الْوُضُوءِ سَرَفٌ؟" أَجَابَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ، "نَعَمْ ، وَإِنْ كُنْتُ عَلَى نَهْرٍ جَارٍ" ² إِذَا فَإِنَّ تَحْذِيرَ رَسُولِنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذَا يُدَكِّرُنَا بِأَنَّ الْمَاءَ هُوَ نِعْمَةٌ ثَمِينَةٌ لَا يَجِبُ أَنْ يَبِيتَ هَذْرُهَا عَلَى الْإِطْلَاقِ حَتَّى وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ بِقَصْدِ الْعِبَادَةِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْأَفْاضِلُ!

إِنَّ هُنَاكَ الْيَوْمَ الْمَلَائِيْنُ مِنَ النَّاسِ فَوْقَ هَذِهِ الْأَرْضِ مِمَّنْ يَعِيشُونَ فِي لَهْفَةٍ لِلْحُصُولِ عَلَى قَطْرَةِ مَاءٍ نَظِيفَةٍ وَعَدْبَةٍ، لَذَا عَلَيْنَا أَنْ نُدْرِكَ قِيَمَةَ النِّعْمَةِ وَنَتَصَرَّفَ بِوَعْيٍ أَثْنَاءَ اسْتِخْدَامِنَا لِلْمَاءِ بِمَا يَفْتَضِيهِ شُكْرُ هَذِهِ النِّعْمَةِ. فَلَا يَجِبُ أَنْ نُلْقِيَ بِمُسْتَقْبَلِنَا إِلَى التَّهْلُكَةِ مِنْ جَلَالِ اسْتِهْلَاكِ مَا يَزِيدُ عَنْ حَاجَتِنَا مِنَ الْمَاءِ. وَلَا يَجْدُرُ بِنَا أَنْ نَفْعَ فِي الْوَبَالِ مِنْ خِلَالِ التَّعَدِّيِ عَلَى حَقِّ الْكَائِنَاتِ الْحَيَّةِ الْأُخْرَى. وَإِنَّ مِمَّا يَقَعُ عَلَى عَاتِقِنَا هُوَ الشُّكْرُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ شُكْرًا كَثِيرًا عَلَى كُلِّ نِعْمَةٍ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا وَكَفَانَا وَأَوَانَا" ³

¹ سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ، الْآيَةُ: 30.

² ابْنُ مَاجَةَ، كِتَابُ الطَّهَارَةِ، 48.

³ صَحِيحُ مُسْلِمٍ، كِتَابُ الذِّكْرِ، 64.